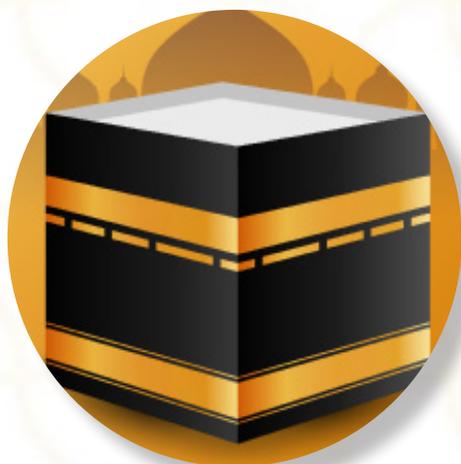


(من كتاب الحج وروح العبادة فيه)

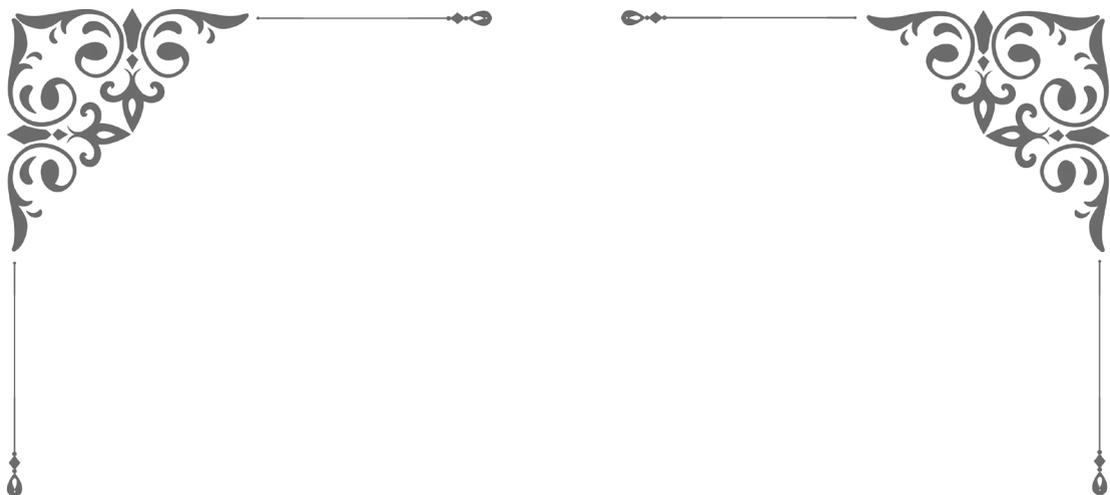
(١٤)

الحجُّ ورمي الجِمارِ، والتَّوَابِ المَدَّخِرِ

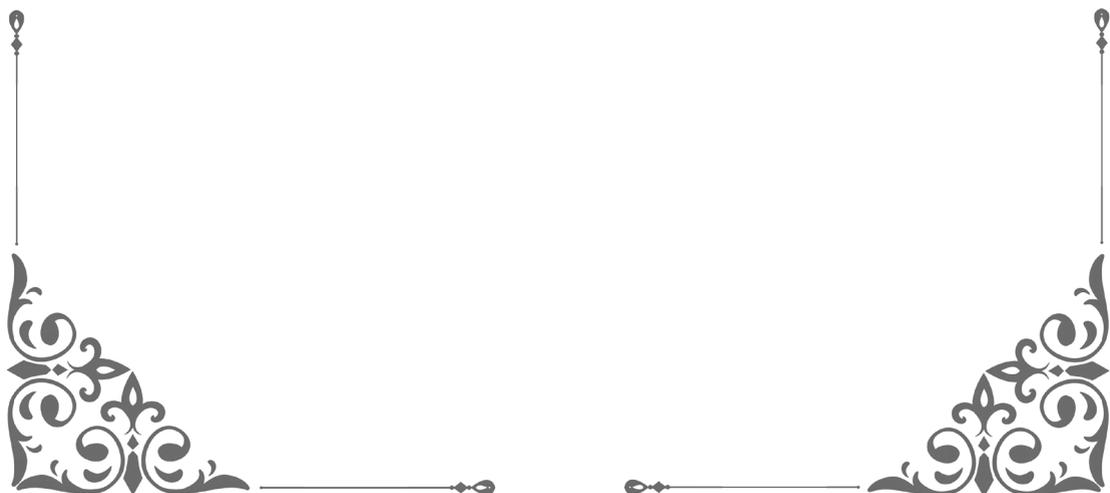


تأليف

عادل بن عبد العزيز الجهني



محفوظ جميع الحقوق





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبادات الحجِّ العظيمة (رمي الجمار) وقد جاءت بفضائله الآثار، فقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَمِي الْجِمَارِ مِنْ مُكْفَرَاتِ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "وَأَمَّا رَمِيكَ الْجِمَارَ؛ فَلَكَ بِكُلِّ حِصَاةٍ رَمَيْتَهَا تَكْفِيرٌ كَبِيرٌ مِنَ الْمَوْبِقَاتِ" (١).

وَبَشَّرَ أَنَّ رَمِي الْجِمَارِ نُورٌ لِمَالِكِهِ عِنْدَمَا تَشْتَدُّ الظُّلُمَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "وَإِذَا رَمَيْتَ الْجِمَارَ؛ كَانَ لَكَ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٢).

بَلْ لَقَدْ عَظَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَزَاءَهُ حَتَّى أَخْبَرَ أَنَّهُ إِنَّمَا يُوَفَّى صَاحِبَهُ ثَوَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِكَثْرَتِهِ وَنَفَاسَتِهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "وَإِذَا رَمَى الْجِمَارَ لَا يَدْرِي أَحَدٌ مَا لَهُ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٣).

(١) رواه الطبراني، والبزار واللفظ له، وهو حديث حسن.

(٢) رواه البزار، وهو في السلسلة الصحيحة.

(٣) رواه أحمد وأبو داود



وفي هذا من البشارة من كثرة الأجر ما فيه.

فهذه الآثار تُبين بجلاء فضل هذه العبادة العظيمة، فتواها مدَّخرٌ يناله أهلها كأكمل ما يكون يوم القيامة.

ورمي الجمرات ليس كما يظنُّ البعض أنه رمي حصاة إلى جهة فحسب، أو عبادة لا حكمة من ورائها، بل هي عبادة جليلة القدر، فيها حكم كثيرة.

ومن أعظم حكم رمي الجمار (إقامة ذكر الله تعالى) فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا جُعِلَ رَمِي الْجِمَارِ وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ"^(١). فالله هو الذي أمر، فيستجيب المؤمن لأمر ربه ويمثله، وهذا الامتثال مما يُحبُّه الله من عبده، فيفعله وإن لم تظهر له حكمته، لأنه عبدٌ، وحق العبد طاعة سيده، وسيُثبِّه عليه أعظم الثواب في الآخرة، ويزيد الثواب مع شدة الإخلاص، واحتساب الأجر، واستشعار أنها عبادة لله، أمَّا الثواب المُعَجَّل في الدنيا، فهو ما يكون من سكينته وسروره وطمأنينة يشعر بها كلُّ من أدَّى هذه العبادة وغيرها على الوجه الأكمل.

(١) رواه ابن حبان، وهو حديثٌ صحيح.



وفيه التأسى برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي رمى الجمرات في هذه الأيام، وأمر باتِّباع هديه في المناسك كلها، وهذا الاتِّباع ينال من ورائه المؤمن الأجر العظيم.

وفي رمي الجمرات إشارة لعداوة الشيطان ومراغمته، والإعلان عن عداوته، فعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعاً، قال: (لَمَّا أتى إبراهيمُ خليلُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ المناسِكَ، عَرَضَ له الشيطانُ عند جَمْرَةِ العَقْبَةِ، فرماه بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ حتَّى ساخَ في الأَرْضِ، ثُمَّ عَرَضَ له عند الجَمْرَةِ الثَّانِيَةِ، فرماه بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ حتَّى ساخَ في الأَرْضِ، ثمَّ عَرَضَ له في الجَمْرَةِ الثَّالِثَةِ فرماه بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ حتَّى ساخَ في الأَرْضِ. قال ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-: الشيطانُ تَرَجْمونَ، ومِلَّةٌ أبيكم تَتَّبِعونَ^(١)).

ومراغمة الشيطان مقصدٌ من مقاصد الشريعة، وأمرٌ من جملة الأوامر التي أمر اللهُ بها.

وينبغي لمن يُؤدِّي هذه العبادة أن يكون حاضر القلب فيها من حين أن يخرج ويسير تجاه الجمرات، فيحتسبُ هذه الخطوات

(١) رواه الحاكم والبيهقي، وهو في صحيح الترغيب.



التي يخطوها، ويتذكر فضل الله عليه في تيسير سيره لأداء هذا النُّسك، ويمضي مُكبراً، ذاكرًا ربّه، فإذا وصل وبدأ بالرمي، أحضر قلبه مع كلِّ حصاةٍ يرميها، واستحضر أنّهُ في عبادةٍ وقربةٍ يتقربُ بها إلى ربه، مُحْتَسِبًا أجرها، ويتذكر الفضل الوارد فيها، فهذا أدعى لأدائها بانسراح صدر وفرح، ففي كل رميةٍ حصاةٍ تكفيرٍ كبيرةٍ من كبائر الذنوب، وتكون له نورًا يوم القيامة، ويوفيه الله بها أجرًا لا يخطر له على بال، كما تقدّمت أدلة ذلك من الأحاديث.

وانظر لرحمة الله عباده، فيرمي الحاجُّ جَمَرات يسيرات، في فعلٍ لو فعله في غير هذا الموطن لوجّهت له سهام النقد، أو ربما كان فيه أذية لغيره، لكنّه في هذا الموطن عبادة جلييلة، وقربةٌ من القُرْبَات.

فإذا ما انتهى من رميه الجمرة الصغرى تقدّم ووقف يدعو ربه طويلاً، ويستحضر أنّهُ في مَوْطنٍ من مواطن الإجابة، وفي ساعةٍ من ساعات إفاضة الخيرات على أهل هذه الطاعة، ثم يرمي الجمرة الوسطى ويتقدّم ويدعو ربه طويلاً، فكم من دعواتٍ استُجبت للداعين هنا، وكم من مطالبٍ تحقّقت للسائلين، وشرور اندفعت عنهم، مع استحضار أنّ الدعاء لا يضيع أبدًا، ففي الحديث الذي



رواه الإمام أحمد وغيره: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا
إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ
لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ
السُّوءِ مِثْلَهَا" قَالُوا: إِذَا نَكَّرْنَا، قَالَ: "اللَّهُ أَكْثَرُ" (١).

ثُمَّ يرمى الجِمرَةَ الكُبْرَى، ولا يقف عندها ولا يدعو؛ لأنَّ
النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هكذا صنع.

يفعل كلُّ ذلك وهو يستشعر أنه متأسُّ بنبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وانظر لشدة امتثال الحجاج لأمر نبيهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكمال
تأسيهم به، فهم إنَّما يدعون ربهم عند الجِمرَةِ الصَّغْرَى والوسطى
فقط، أمَّا الجِمرَةُ الكُبْرَى فلا يقفون عندها ولا يدعون، وهكذا
هم أتباع محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقتفون أثره في كل عبادة، وفي الفعل
والترك، وكلُّ هذا عند الله بمكان، فاحرص على اتِّباع السُّنَّةِ،
واقْتفاء الأثر، فإنَّما الشريعة دليل وآثار ونصوص لا أراء وأذواق.

وينبغي للحجاج أن يحتسبوا هذا الاتِّباع ليعظم أجرهم، حتى
إذا ما انتهى الحاجُّ من رميه، وعاد إلى مكان إقامته رجع بقلبٍ

(١) رواه الإمام أحمد وغيره.



شاكِر، ولسانِ ذاكِر، حامدًا ربِّه على هذا التوفيق، شاكِرًا مولاه
على هذه المِنَّة والاصطفاء.

**وفي رمي الجمرات - كما هو سائر مناسك الحج - تظهر
عبودية العباد،** وكمال إذعانهم لربهم، وصغارهم وذلتهم بين
يديه، فهم يرمون في زمن محدّد، ومكان محدّد، بعدد محدّد،
فيجتمع الملايين على ذلك ليقن العباد أنّ ربهم واحد، وأنَّ
مصدر التشريع واحد، فلا يتخلف منهم متخلف، ولا يستنكف
منهم أحدٌ عن الاستجابة لأمره لأنَّهم موقنون بحاجتهم إلى ثواب
هذه الأعمال، وكذلك يخافون مخالفته، فهنيئًا لأنفسٍ استجابت
لأمر ربها، وأتّعت هدي نبيها **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فيه.

